مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٨) العدد (٦)
الإصدار الثلاثون
(١-٢٩) ٢٠٢٥

نظريّةُ التّربيةِ العقليّةِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ، دِرَاسَةٌ مُقَارَنَةٌ بَينَ تَفسِيرَيّ، رُوحِ المَعَانِي للأُلُوسِيّ ومَوَاهِبِ الرّحمنِ فِي تَفْسِيرِ القُرآنِ للسَّيدِ عَبدِ الأعلَى السّبزواريّ

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

علي أحمد باقر
طالب دكتوراه، جامعة المصطفى العالمية.
أ. د. السّيد نذير الحسني
د. السّيد ياسر قطيش
جامعة المصطفى العالمية.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٦ ديسمبر ٢٠٢٥م

الملخّص

تناول البحث موضوع "التربية العقلية" في القرآن الكريم من خلال دراسة مقارنة بين تفسيري "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" للإمام "شهاب الدين الألوسي"، و"مواهب الرحمن في تفسير القرآن" للسيد "عبد الأعلى السبزواري".

هدف البحث إلى الكشف عن أوجه الالتقاء والاختلاف في تصور العقل وتوظيفه تربويًا ضمن مدرستين تفسيريتين مختلفتين.

اعتمد الباحثُ المنهجَ التحليليَّ الموضوعيَّ بهدف تفكيك الرؤى التفسيرية المتعلقة بالعقل، والمنهج المقارن بغرض إبراز الفروق المنهجية والعقدية بين المدرستين موضوع البحث.

وفي نهايته توصّل البحث إلى أن العقل لدى الألوسي يُوظّف لفهم النصوص ضمن حدود النقل فقط، ويُقيَّد بضوابطَ شرعيةٍ صارمة، بينما يُقدّم السبزواري العقلَ بصفته نوراً إلهيًا تأويليًا، يتكامل مع الوحي ويُسهم في الترقي في الجانب الروحي، كما أظهر البحث أن التربية العقلية في القرآن الكريم مشروع تربوي مستقلٌ بذاته ومتكاملٌ لبناء الإنسان المفكّر والمصلح، وهي ليست مجرد أداة معرفية للاستخدام الآنيّ، وأن

المقارنة بين التفسيرين تُسهم في إثراء الفهم القرآني للعقل الإنسانيّ، وتفتح آفاقًا واسعة للحوار التربوي الهادف بين المدارس الإسلامية المختلفة.

الكمات المفتاحية: النظرية، التربية، التربية العقلية، العقل، الألوسي، السبزواري.

Abstract

The research addressed the topic of "intellectual education" in the Holy Qur'an through a comparative study between the two interpretations of "The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur'an and the Seven Mathanis" by Imam Shihab al-Din al-Alusi, and "Mawahib al-Rahman in the Interpretation of the Qur'an" by Sayyed Abd al-Ala al-Sabzwari.

The research aimed to reveal similarities and differences in the conception of the mind and its educational use within two different interpretive schools.

The researcher adopted the objective analytical approach with the aim of dismantling the explanatory views related to the mind, and the comparative approach with the aim of highlighting the methodological and doctrinal differences between the two schools that are the subject of the research.

At the end of the research, the research concluded that the mind, according to Al-Alusi, is used to understand texts within the limits of transmission only, and is restricted by strict legal controls, while Al-Sabzwari presents the mind as a divine interpretive light, integrated with revelation and contributing to advancement in the spiritual aspect. The research also showed that mental education in the Holy Qur'an is an independent, independent and integrated educational project for building the thinking and reforming human being, and it is not just a cognitive tool for immediate use, and that the comparison between the two interpretations contributes to enriching understanding. Qur'anic texts for the human mind, and opens broad horizons for meaningful educational dialogue between different Islamic schools.

Keywords: Theory, education, mental education, reason, Al-Alusi, Al-Sabzwari.

*** المقدمة**

تُعدّ التربية العقليّة من القضايا المحورية التي تضمنها الخطاب القرآني، حيث إن القرآن الكريم توجّه إلى الإنسان بوصفه كائنًا عاقلًا، وحثّه على التفكير والتدبّر والتأمل والفهم المسؤول، في إطار من الوعي والإيمان والإدراك.

وقد اتخذت دعوة القرآن إلى إعمال العقل أبعاداً معرفيّة وتربويّة متعدّدة، عبّرت عنها آياتٌ كثيرة ما يدلّ على أنّ العقلَ في التصوّر القرآنيّ يعد عنصراً جوهريًا في بناء الإنسان وتكوينه الروحي والأخلاقي وليس مجرد أداة معرفيّة آنيّة فقط.

ورغم مركزيّة البعد العقلي في الخطاب القرآني، فإنّ تناول المفسرين له بقي محكومًا من خلال سياقاتهم المعرفيّة والمذهبيّة، حيث تباينت مناهج استثمار العقل بين مدارس التفسير المختلفة، تبعًا لموقع العقل في منظومتها العقديّة، فمدرسة الصحابة للتفسير مثلًا تميل إلى أنّ العقل معينًا على فهم الوحي، لا مصدرًا مستقلًا للمعرفة، وتربطه دومًا بالضوابط النصيّة وهو بذلك يحتاج إلى مادة محسوسة، في حين أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تعتمد على العقل بوصفه نورًا إلهيًا يتكامل مع النّقل، وتمنحه سلطةً تأويليّة واسعة، خاصة في ظل اعتمادها على الروايات المعصوميّة التي تضفي على العقل بعداً روحيًا وفلسفيًا.

وفي سياق هذا البحث يتقابل عالمان بارزان من هاتين المدرستين التفسيريتين هما: العلامة شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المفسّر السنّي من مدرسة الصحابة، صاحب التفسير الموسوعي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، والسيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤هـ)، الفقيه والفيلسوف الإماميُّ من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، صاحب التفسير المعروف "مواهب الرحمن في تفسير القرآن".

ورغم اختلاف السياقات التاريخية والسياسية التي عاش فيها كلٌّ منهما، وتباين الخلفيات العقدية والمؤسسات التعليمية التي انطلقا منها، فإننا نجد تقاطعًا جوهريًا في رؤيتهما لدور العقل في العملية التربوية الإسلامية، ما يجعل من المقارنة بينهما مدخلًا مهمًا لفهم أعمقَ لمفهوم التربية العقلية في التفسير القرآني لدى المدرستين موضوع البحث.

*** مشكلة البحث**

تنبع مشكلة البحث من غياب دراسات مقارنة تسعى إلى بلورة نظرية قرآنية للتربية العقلية تجمع بين الرؤى التفسيرية المختلفة، وتستخدم التحليلين المنهجي الموضوعي والمقارن، وتُراعي التباين في المرجعيات المذهبية والمناهج التفسيرية المختلفة، كما هو الحال بين مدرستي الألوسي والسبزواري، وتزداد هذه المشكلة عمقًا حين نلاحظ من خلال الاستقصاء أن معظم الدراسات السابقة والمعاصرة التي تناولت العقل في القرآن الكريم، ركّزت على الجوانب الفلسفية أو الكلامية أو الأصولية، بينما أُهمل البعدُ التربويُّ للعقل، أو لم يُسلّط الضوء على المقارنة بين الرؤى التفسيرية المتنوعة في هذا المجال.

ومن هنا، فإن السؤال الرئيس الذي يسعى البحث إلى الإجابة عنه هو: كيف صاغ كلٌّ من الإمام الألوسي والسيد السبزواري نظرية التربية العقلية في تفسيريهما للقرآن الكريم، وما أوجه التشابه والاختلاف بينهما في ذلك؟

ويتفرّع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة الفرعية، هي: –

١- كيف تتجلّى نظرية التربية العقلية في تفسير "روح المعاني" للألوسي؟

٢- كيف تتجلّى نظرية التربية العقلية في تفسير "مواهب الرحمن" للسبزواري؟

٣- ما أوجه الالتقاء بين التفسيرين في تناول موضوع التربية العقلية؟

٤- ما أوجه الاختلاف بينهما في السياق السابق نفسه؟

*** أهمية البحث**

تتمثل أهمية البحث في تسليط الضوء على مفهوم التربية العقلية في القرآن الكريم، لما له من أثر بالغٍ في توجيه مناهج التفسير والدراسات التربوية المعاصرة، وفي إبراز رؤية الإسلام لمكانة العقل ضمن منظومة التربية الروحيّة والفكريّة للإنسان.

وتزداد أهمية هذا الموضوع عند تناوله في إطار مقارن بين مدارس التفسير الإسلامي المختلفة، لا سيما مدرستي الصحابة وأهل البيت عليهم السلام، لما تمتلكه كل مدرسة منهما من إرث علميّ وثقافيّ ثريّ في فهم القرآن الكريم وبيان مقاصده، مع ما يرافق ذلك من تباين في الرؤى الاعتقادية والمنهجيات الاستنباطية بينهما.

ومن هذا المنطلق، تكتسب دراسة التربية العقلية من خلال الرؤية التفسيرية لمدرسة الصحابة التي يمثلها تفسير "روح المعاني" للألوسي، والرؤية التفسيرية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام التي يمثلها تفسير "مواهب الرحمن" للسبزواري أهميةً خاصةً، حيث تنتهي هذه المقارنة إلى نقاط الالتقاء والاختلاف في فهم مفهوم التربية العقلية بين المدرستين، ما يعمّق فهمنا للمنهج القرآني في تنمية العقل، ويُثري الحوارَ العلميَّ بين المفسرين من مختلف الاتجاهات التفسيرية.

*** هدف البحث**

يسعى البحث إلى الكشف عن أوجه الالتقاء والاختلاف بين تفسيري "روح المعاني" للإمام الألوسي و"مواهب الرحمن" للسيد السبزواري في تناولهما موضوع التربية العقلية، وتقديم إطار مقارن يعمّق الفهم القرآني للعقل بوصفه أداة تربوية، بما يسهم في تطوير المناهج التربوية الإسلامية، ويعزز مسارات الانفتاح والتكامل بين المدارس الإسلامية المختلفة في بناء الإنسان المفكر والمصلح.

*** الدراسات السابقة**

من خلال البحث والتقصي، تبيّن وجود عدد من البحوث والرسائل الجامعية التي تناولت موضوعات ذات صلة بموضوع هذا البحث، حيث تناولت دراسة (الشمري، ٢٠١٥) أسلوب الحجة العقلية في التربية الإسلامية، مستندةً إلى القرآن والسنة وآثار السلف، وأبرزت أثر هذا الأسلوب في الإقناع وترسيخ التفكير المنطقي، من خلال عرض المتضادين، والمسلّمات العقلية، والوقائع المشاهدة، مؤكدةً حضور هذا النهج في التراث التربوي الإسلامي[١].

بينما هدفت دراسة (الدخنان، ٢٠٢٤) إلى تحليل النزعة العقلية في الفكر التربوي الإسلامي، مبيّنةً نشأتها لدى

[١] الشمري، محمد مطلق. أسلوب الحجة العقلية في ضوء التربية الإسلامية وتفعيله بالواقع المعاصر. جامعة الأزهر، مجلة التربية، المجلد ٣٤، العدد ٣، ٢٠١٥.

المتكلمين، وموقف أهل السنة منها، خاصة في قضية التعارض بين العقل والنقل، كما تناولت موقف الفريقين من التقليد، في إطار نقدي مقارن[٢].

أما دراسة (شاكر والسراجي، ٢٠٢٤) فقد ركّزت على مفهوم المعرفة التدبرية وأثرها في منهج المفسر، من خلال دراسة تفسير الميزان للعلامة الطبطبائي، واستقراء نماذج من الآيات المتعلقة بالعقائد والقصص القرآني وفضائل آل البيت عليهم السلام، مبرزةً أهمية التدبر في بناء الفهم القرآني[٣].

في حين سعت دراسة (حسن وعلي، ٢٠٢٤) إلى تأصيل المنهج الإشاري في التفسير، مبرزةً كيف يقوم على التأمل والذوق، ويربط بين المعنى الظاهر والخفي، من خلال دراسة تطبيقية على تفسير السبزواري، الذي يُعد من أبرز نماذج التفسير العرفاني الإشاري[٤].

وتنبع أصالة هذا البحث من كونه يجمع بين مسارين بحثيين متكاملين: –

١– أولهما: دراسة نظرية التربية العقلية في القرآن الكريم بشكل تفصيلي، بوصفها مكونًا تربويًا محوريًا في الخطاب الإلهي.

٢– ثانيهما: إجراء مقارنة منهجية معمّقة بين تفسيري "روح المعاني" للألوسي و"مواهب الرحمن" للسبزواري، باعتبارهما نموذجين بارزين ينتميان إلى مدرستين تفسيريتين مختلفتين.

وبذلك يسعى البحث إلى إثراء ميدان الدراسات القرآنية والتربوية بنتائج جديدة، وتقديم رؤية أوسع لكيفية توظيف العقل تربويًا في فهم النص القرآني، وذلك عبر قراءتين متمايزتين في المنهج والمرجعية، ما يفتح آفاقًا للحوار العلمي والتربوي بين المدارس الإسلامية، ويُسهم في بناء تصور تكاملي للعقل في التربية الإسلامية.

*** منهج البحث**

اعتمد الباحث في هذا الدراسة على المنهج التحليلي الموضوعي، وذلك لتحليل الرؤى التفسيرية المتعلقة بمفهوم التربية العقلية في كل من تفسير "روح المعاني" للألوسي ممثلًا مدرسة الصحابة، وتفسير "مواهب الرحمن" للسبزواري ممثلًا مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد تمّ هذا البحث من خلال استخراج المفاهيم التربوية العقلية من النصوص التفسيرية، وتحليلها في ضوء السياق القرآني والمنهجي الخاص بكل مفسر.

كما تم توظيف المنهج المقارن، من خلال إجراء مقارنة علمية بين التفسيرين المشار إليهما، بهدف الكشف عن

[٢] الدخنان، جمانة بكر خلف. النزعة العقليّة في الفكر التربوي الإسلامي: قراءة تحليلية ناقدة. مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مجلد ٣٠، عدد ٤، نيسان ٢٠٢٤.

[٣] شاكر، هدى هيثم؛ السراجي، كريم شاتي. أثر المعرفة التدبرية في تفسير القرآن الكريم (كتاب تفسير الميزان انموذجاً). مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، المجلد ١، العدد ٨٠، ٢٠٢٤.

[٤] حسن، أسمهان جاسب؛ علي، أمير فرحان. المنهج الإشاري في تفسير القرآن تفسير مواهب الرحمن للسبزواري انموذجاً. مجلة مداد الاداب، المجلد ١٤، العدد ٣٤، ٢٠٢٤.

أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما في تناول موضوع التربية العقلية، وذلك في إطار الخلفيات المذهبية والمنهجيات التفسيرية المختلفة، ما يُسهم في بناء تصور تكاملي حول العقل في التفسير القرآني، ويُثري الحوار بين المدارس الإسلامية المختلفة في المجال التربوي.

*** الصعوبات التي واجهت الباحث**

واجه الباحث خلال إعداد هذا البحث عدداً من التحديات العلمية والمنهجية، يمكن تلخيص أبرزها فيما يأتي:-

١- ندرة المصادر المتخصصة التي تناولت موضوع التربية العقلية بشكل مباشر في تفسير "روح المعاني" للإمام الألوسي أو "مواهب الرحمن" للسيد السبزواري، ما استلزم جهداً مضاعفاً في تتبّع الإشارات المتفرقة داخل النصوص التفسيرية لهما، وجمعها وتحليلها في سياق تربوي متكامل.

٢- الاختلاف المنهجي الجوهري بين المدرستين التفسيريتين، سواء من حيث المرجعية المعرفية أو أدوات الاستنباط، وهذا تطلب من الباحث قدراً كبيراً من التأنّي والدقة في المقارنة، وتحليل المصطلحات السياقية، وتفكيك المفاهيم التربوية ضمن بنيتها العقدية والتفسيرية الخاصة بكل مدرسة على حدة.

*** مصطلحات البحث**

١- النظرية

يرتبط مفهومها بجذر "نظر" الذي يدل على التأمل العقلي، كما أشار ابن فارس: "نظر: النون والظاء والراء أصلٌ صحيحٌ يرجع فرعه إلى معنىً واحدٍ وهو تأمّلُ الشيءِ ومعاينته"[٥].

وتُعرّف في "المعجم الفلسفي" بأنها: "ترتيبٌ مُنَظّمٌ لحقائقَ واقعيّةٍ... وترتبط بالممارسة والتّطبيق والتّجريب، ونجاحُ النّظريّة مرتبطٌ بتلك الممارسةِ وذلك التطبيقِ وهذا التجريب"[٦].

ويعرفها عبد الرحمن بدوي في "فلسفة العلم" بأنها: "نشاطٌ إبداعيٌّ ومنطقيٌّ موجّهٌ لفهمِ أو تفسيرِ صورِ الارتباطِ المنطقيّ بين مجموعةٍ من القوانينِ الاستقرائيّةِ الصّادقةِ الخاصةِ بمجالٍ ما من مجالات الطبيعة"[٧].

٢- التربية

تعني تنمية الشيء تدريجيًا حتى يبلغ كماله، كما ورد في "لسان العرب": "هو من الربّ، بمعنى التربية، كانوا يُربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها"[٨].

ويؤكد الطباطبائي على دور المربي بقوله: "التربية الصالحة لا تتحقق إلا من مربٍّ صالح، وإنْ تظاهر بالصلاح ولازم الطريق المستقيم في تربيته، وضرب على الفساد المطوي في نفسه بمئة ستر، واحتجب دونه بألف حجاب"[٩].

---

[٥] معجم مقاييس اللغة، ج٥، ص٤٤٤.

[٦] قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، ص٣٥٦-٣٥٧.

[٧] النظريات العلمية الحديثة: مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية، ج١، ص٤١.

[٨] لسان العرب، ج١، ص٤٠٤.

[٩] الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص٣٥٧.

٣- العقل

يُعرّف في اللغة بأنه: "الشيء الذي يمنع الخواطر والشهوات من الناس ويوقفها عن أن تمضي العزائم بحسبها"[١٠].

ويقول الجرجاني: "العقل نورٌ في القلب يعرف الحق والباطل"[١١]، وفي "معجم المصطلحات": "آلة الإدراك والتمييز، يستطيع إذا صفا أن يميز بعض التمييز بين الحسن والقبيح"[١٢].

ويؤكد الإمام الخميني: "العقل يحكم قطعًا بقبح مخالفة المولى"[١٣]، ويصفه الشيرازي بأنه: "القوة المدركة لدى الإنسان، والفكر، والعلم"[١٤].

بذلك يتضح أن العقل منظومة متكاملة للتمييز والتفكير واتخاذ القرار، وهو أساس فهم التربية العقلية في القرآن الكريم.

٤- التربية العقلية

ترتكز على مناهج فكرية كالتفكر والتدبر والتأمل والاستنباط والاستقراء والتحليل، وهي واضحة في الفكر الإسلامي، وتُسهم في توجيه العواطف ونضج الشخصية وتهذيب السلوك[١٥].

ويصفها الكواكبي بأنها: "التربية المرتبة على إعداد العقل للتمييز، وأن تكون تربية العقل مصحوبة بتربية الجسم"[١٦].

ويضيف الحازمي: "تمثل فكر الإنسان وما يحمله من مفاهيم صحيحة أو مغلوطة"[١٧]، و"تهتم بالجانب التفكيري العقلي، ولكن تجعله يستظل ويسير تحت مظلة الشرع الحنيف، لا في مقدمته"[١٨].

فالتربية العقلية ليست تلقينًا معرفيًا، بل بناء متكامل يجمع بين الفكر والشرع، والتأمل والتجريب، ما يجعلها محورًا في التربية القرآنية.

*** نظريّة التّربية العقليّة في تفسير "روح المعاني" للألوسي**

أولًا: التعريف بالألوسي وتفسيره

هو محمود بن عبد الله البغدادي، المعروف بالألوسي، وُلد ببغداد عام ١٢١٧هـ وتوفي فيها عام ١٢٧٠هـ، وينتمي لأسرة علمية حسينية النسب.

تلقى علومه في بغداد، وبرع في التفسير واللغة والفقه وأصول الدين، وتميز بأسلوب عقلاني معتدل يجمع بين النقل والعقل، والفقه والفلسفة، ما جعله من أبرز علماء عصره.

من أبرز مؤلفاته تفسيره "روح المعاني"، الذي يُعد من أعظم التفاسير الإسلامية الجامعة، حيث تناول الآيات القرآنية بأسلوب تحليلي شامل يجمع بين اللغة والبلاغة والفقه

---

[١٠] موسوعة مصطلحات الفلسفة، ج١، ص٤٦٣.
[١١] كتاب التعريفات، ص. ص١٥١-١٥٢.
[١٢]. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ص٥٢٢-٥٢٤.
[١٣] أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية، ج١، ص١٦٠.
[١٤] نفحات الولاية: شرح عصري جامع لنهج البلاغة، ج١، ص٣٣٩.
[١٥] قراءة في السيرة الفاطمية، ص.ص٤٣٥-٤٣٧.
[١٦] طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ص١٣٨-١٣٩.
[١٧] التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية، ص٤١٨.
[١٨] المرجع السابق نفسه، ص٤٢٦.

والعقيدة، مع عرض آراء المفسرين السابقين والتعليق عليها، وتقديم رأيه الخاص، وهذا جعل تفسيره امتدادًا لمدرسة الصحابة في التفسير.

ثانيًا: مجالات التّربية العقليّة عند الألوسي

تُعدّ التربية العقلية محورًا في البناء التربوي عند الألوسي، حيث يرى أن تنمية العقل أساس لمواجهة تحديات الحياة، ويستند في ذلك إلى فهم قرآني عميق لمكانة العقل، ويتجلى ذلك في ثلاثة مجالات رئيسة هي: –

١– التوازن بين التراث والعقلانية: يُبرز منهج الألوسي شموليته في التفسير، كما تقول البحيري: "منهج شامل تقريبًا لكلِّ مناحي التفسير، من بيان ولغة وتعرّضٍ لأسباب النزول والقراءات، والمسائل النحوية، والمسائل الفقهية، والعلوم الكونية، واستعراضٍ للآراء المختلفة في التفسير، والتعقيب عليها بالتفنيد، أو القبول، أو الترجيح والموازنة، وغير ذلك، ما جعل تفسيره موسوعةً شاملةً لشتى العلوم والفنون"[١٩].

ويصفه الزرقاني بقوله: "من أجلِّ التفاسيرِ وأوسعِها وأجمعِها، ونظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة"[٢٠]، ويؤكد الذهبي أنه: "موسوعةً تفسيريّةً قيّمةً جمعت جلَّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدموا عليه، مع النقد الحرِّ والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة"[٢١]، فالتربية العقلية لديه تُنتج إنسانًا يُدرك ويُميّز ويُمارس دوره بوعي وتبصر.

٢– التفكير النقدي وتجاوز السطحية: يشدد الألوسي على أهمية النقد العقلي في فهم النصوص، ويقول: "تسمية علم الصوفية بعلم الباطن، وليس ذلك بباطن إذِ الباطنُ إنما هو علم الله تعالى، وأما جميع ما علمه الخلق على اختلاف طبقاتهم فهو من علم الظاهر لأنه ظهر للخلق"[٢٢]، ما يدل على أن الفهم الحقيقي يبدأ من النص ويكتمل بالعقل المتزن.

٣– التوازن بين النقل والعقل: يؤكد الألوسي على أن: "النقلَ الصّحيحَ لا يخالف العقلَ الصّريحَ"[٢٣]، ما يعكس رؤيته بأن العقل الراشد يُنتج وعيًا دينيًا واقعيًا، وقد وفّق بين احترام النصوص وإعمال العقل، ما يجعل فكره نموذجًا معاصرًا، ويُبرز أهمية الاجتهاد والتفكير في بناء الحضارة الإسلامية.

ثالثًا: وسائل التّربية العقليّة عند الألوسي

اعتمد الألوسي منهجًا تربويًا شاملًا يجمع بين النظرية والتطبيق، مستوعبًا مقاصدَ الشريعة ومتطلبات العصر، وبرزت في منهجه وسائل متعددة لتنمية العقل، منها: –

١– التأمل والتدبر في النصوص الشرعية: حيث يرى أن التربية العقلية تبدأ بإعمال الفكر في النصوص، ويقول: "الباطن لا يجب أن يُتوصَّل إليه بالظاهر"[٢٤]، وهذا يعكس تأثره بالمدارس العقلية في التفسير.

٢– الاجتهاد والاستنباط العقلي: يَعد الاجتهاد نشاطًا عقليًا حيويًا، حيث يقول الألوسي: "يجب أن يكون عالمًا بجميع القواعد الشرعية وبكثيرٍ من الفروع الجزئية لتلك القواعد،

[١٩] توجيه المتشابه اللفظي عند المفسرين: دراسة في تفسيري الرازي والألوسي، ص١٢٢.
[٢٠] مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢، ص٨٤.
[٢١] التفسير والمفسرون، ج١، ص٣٦١.
[٢٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٣، ص٣٥٦.
[٢٣] المرجع السابق نفسه، ج٦، ص٢٢٨.
[٢٤] المرجع السابق نفسه، ج١١، ص٦٢.

بحيث لو حدثت حادثة ولا يعلم حكمها يكون متمكنًا من استنباط الحكمِ فيها على الوجه الصحيح فذاك حقٌّ، وهو في معنى قول الجماعة يجب أن يكون الإمام مجتهدًا"[٢٥]، ما يُبرز دور العقل في الاجتهاد الواعي.

٣- التفكير النقدي والتحليل المنطقي: يشدد الألوسي على تدريب العقل على النقد، ويقول في تفسيره: "إنّ إبطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد أدى بهم إلى الإصرار على الكفر والامتناع عن الإيمان "، ما يؤكد أنّ التربية العقليّة تُعلّم التفكير لا المعلومات فقط.

٤- التوازن بين النصوص والعقل: يؤكد على ضرورة التوازن، ويقول: "أنّ الخبر متى خالف صريحَ العقل لا يكون صحيحًا"[٢٦]، ما يعكس موقفًا وسطًا يربط العقل بالنقل دون إقصاء.

٥- رفض التقليد الأعمى والدعوة للتجديد: يرفض التقليد المذموم، ويستند إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٢٧]، ويُعلّق: "لو كان آباؤهم جهلةً لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتّبعوهم، وهو التقليدُ المذموم"[٢٨]، ما يُبرز دعوته للتفكير المستقل.

٦- الحوار والمناظرة: يرى أنّ تبادلَ الآراء يُنمّي العقل، حيث يقول: "وَجادِلْهُمْ ناظر معادنَهم بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ، بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرّفق واللّين"[٢٩]، ما يُبرز تأثره بالمنهج الجدلي في الفكر الإسلامي، الذي يقوم على الفحص العقليّ والتداول الحرّ في إطار من الاحترام والمنهجية.

تُظهر هذه الوسائل أن منهج الألوسي التربوي يهدف إلى بناء عقل نقدي مستقل، قادر على الفهم والتحليل والاجتهاد، ما يمنحه أهمية كبيرة في الدراسات الفكرية المعاصرة.

رابعًا: تطبيقات التّربية العقليّة عند الألوسي

قدّم الألوسي نموذجًا تطبيقيًا متكاملًا للتربية العقليّة، يتجلى في الآتي: -

١- التفسير العقلي للنصوص الشرعية: اعتمد التحليل والتأويل وربط الأحكام بالمقاصد، ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣٠]: "وإنما وسط بينهم التزكية التي هي عبارةٌ عن تكميل النفس بحسب قوتها العمليّة وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظريّة الحاصلة بالتعلم المترتّب على التلاوة" [٣١]، ما يُبرز أهمية التدبر العقلي في فهم القرآن.

٢- الاجتهاد الفقهي والتحليل المقاصدي: يرى أن الفتوى عملية عقلية لا تقليد، ويقول: "من جوز التقليد مثل المقلد بمن نشأ على جبلٍ شاهق ولم ينظر في ملكوت السماوات والأرض، وأخبره غيره بما يلزمه اعتقاده، وصدقه بمجرد إخباره

---

[٢٥] المرجع السابق نفسه، ج١٠، ص١٨٣.
[٢٦] المرجع السابق نفسه، ج٦، ص١٧٢.
[٢٧] سورة البقرة ١٧٠.
[٢٨] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص٤٣٨.
[٢٩] المرجع السابق نفسه، ج٧، ص٤٨٧.
[٣٠] سورة آل عمران ١٤٦.
[٣١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج١٤، ص٢٨٨.

من غير تفكّر وتدبر"[٣٢]، ما يُبرز أهمية النقد والتحليل في الفقه، وعدم الاكتفاء بالتقليد.

٣- التربية العلميّة والابتكار: يؤمن بأن التفكير العلمي جزء من التأمل القرآني، ويقول: "في نهاية النهايات علومهم علوم العلماء وهي علوم الشريعة، الفرق بينهم وبين العلماء أنّ تلك العلوم بالنسبة إلى العلماء نظريةٌ واستدلاليّة، وبالنسبة إليهم تصير كشفيةً وضرورية"[٣٣]، ويُعلّق على قوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا﴾: "النظر بمعنى التأمل والتفكر"[٣٤]، ما يُبرز دعوته للانفتاح على العلوم التجريبية من خلال التفكير العلمي.

٤- التربية النفسيّة والتوازن الروحي والجسدي: يركّز على مراعاة قدرات النفس، ويقول: "التكليف- إلزام ما فيه كلفةٌ ومشقة، والوسع- ما تسعهُ قدرةُ الإنسان أو ما يسهلُ عليه من المقدور وهو ما دون مدى طاقته"[٣٥]، ويُفسّر قولَه تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[٣٦] بقوله: "لا ترائي بها، ولا تشوبها بذكر غيري... ولا تقصد بها غرضًا آخر"[٣٧]، ما يُبرز دور العبادات في تحقيق الطمأنينة النفسية والتوازن الروحي والجسدي.

٥- التربية الأخلاقيّة والعقل القيمي: يربط الأخلاق بالعقل، ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾[٣٨]: "أي بالمعروف المستحسنِ من الأفعال، فإنّ ذلك أقرب إلى قبول الناس من غير نكير"[٣٩]، ويُعلّق على قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٤٠] فيقول: "المراد قولوا لهم القولَ الطيّبَ، وجاوبوهم بأحسن ما يحبون"[٤١]، ما يُبرز أن الأخلاق تنبع من عقل نقيٍّ وضمير حي.

٦- أثر التربية العقليّة على المجتمع: يرى أن صلاح الأمة يبدأ من العقل، ويُفسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٤٢] بقوله: "مِنَ النِّعم الظاهرة أو الباطنة، حتى يُغيّروا ما بأنفسهم من الاستعداد وقوة القبول"[٤٣]، ما يُبرز دور العقل في التغيير الحضاري.

وهكذا نرى أن منهج الألوسي يُظهر في "روح المعاني" كيف تُسهم التربية العقليّة في بناء الإنسان المسلم المتوازن والمبدع والمشارك في نهضة أمته.

---

[٣٢] المرجع السابق نفسه، ج١٣، ص٢١٨.
[٣٣] المرجع السابق نفسه، ج٨، ص٣٤١.
[٣٤] المرجع السابق نفسه، ج١٠، ص١٨٨.
[٣٥] المرجع السابق نفسه، ج٢، ص٦٦.
[٣٦] سورة طه ١٤.
[٣٧] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٤٨٦.
[٣٨] سورة الأعراف ١٩٩.
[٣٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٥، ص١٣٧.
[٤٠] سورة البقرة: ٨٣.
[٤١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص٣٠٨.
[٤٢] سورة الرعد ١١.
[٤٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٧، ص١٢٩.

*** نظريّة التّربية العقليّة في تفسير "مواهب الرحمن" للسبزواري**

أولًا: التعريف بالسبزواري وتفسيره

هو السيد عبد الأعلى السبزواري، وُلد في سبزوار عام ١٣١٩هـ وتوفي في النجف عام ١٤١٤هـ، وينتمي لأسرة علمية متدينة يرجع نسبها إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

تميّز بغزارة إنتاجه العلمي في الفقه والأصول والتفسير والفلسفة، ومن أبرز مؤلفاته تفسيره "مواهب الرحمن في تفسير القرآن"، الذي يُعد من أهم تفاسير مدرسة آل البيت، تناول فيه الآيات بأسلوب علمي يجمع بين التحليل اللغوي والفقهي، والتعليق النقدي، مع اهتمام خاص بالجانب الأخلاقي والتربوي.

تميز بجمعه بين الأدلة العقلية والنقلية، وتناول قضايا علمية وفلسفية، مستشهدًا بآراء العلماء، متبعًا المنهج الإشاري الذي يربط بين المعاني الباطنية والتفسيرين التقليدي والحديث.

ثانيًا: مجالاتُ التّربية العقلية عند السبزواريّ

تُعدّ التربية العقلية من ركائز بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة، وقد تناولها السبزواري في تفسيره "مواهب الرحمن" من خلال النصوص القرآنية، مبرزًا أهمية التفكير والتأمل والنقد والاستدلال في رفع الوعي والإدراك، ومن أبرز مجالاتها: –

١– تنمية التفكير السليم: يركّز على التدبر العقلي، مستشهدًا بقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾[٤٤]، ويُفسرها بقوله: "تحريضٌ لهم بالتدبّر في القرآن الكريم والتأمّلِ في معانيه، لاستيعابِ ما وردَ فيه من الإرشاداتِ والتوجيهاتِ والأحكامِ"[٤٥]، ويربط بين التدبر والنور الإلهي بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا﴾[٤٦]، ما يُبرز أن الفهم العقلي سبيل النجاة من الضلال.

٢– تنمية التفكير النقدي: يرى أن القرآن يدعو إلى البرهنة ورفض التسليم دون دليل، ويُفسر قوله تعالى: ﴿قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾[٤٧] بقوله: "تكذيبٌ لهم ومطالبتهم بالبرهان على دعواهُمُ، وهذا شأنُ كلِّ دعوى فإنّها لا تُقبل إلّا مع إقامة برهانٍ على صدقها، وإلّا كانت دعوى كاذبة"[٤٨]، ما يُؤكد أن الإسلام دين البرهان لا الشعارات، ويرفض التقليد غير المؤسس.

٣– التأمل والتدبر: يستشهد بالآية: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[٤٩]، ويُعلّق بقوله: "إنهم يتفكرونَ في خلق السماوات والأرض فيُبهَرونَ من عظمةِ الخلقِ، ويعترفونَ بالعجز والتقصير أمامَ الخالقِ العظيم، فينطلق لسانُهم بالثّناءِ والدّعاءِ فيقولونَ: ربّنا ما خلقتَ هذا المخلوقَ باطلًا لأنك العليم الحكيم"[٥٠]، ما يُبرز أن التفكر في الخلق يقود إلى الإيمان، ويتطلب عقلًا متأملًا وصفاءً داخليًا.

---

[٤٤] سورة محمد ٢٤.
[٤٥] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٩، ص٧٦.
[٤٦] سورة النور ٤٠.
[٤٧] سورة البقرة ١١١.
[٤٨] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٢٩٣.
[٤٩] سورة آل عمران ١٩١.
[٥٠] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٧، ص١٧٤.

٤- ضبط العقل والانفعالات: يرى أن التحكم في الانفعالات هو ذروة القوة العقلية، ويُعلّق على قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥١] بقوله: "الآيات الشريفة من جلائلِ الآياتِ التي يُذكَرُ فيها أهمُّ الخصائلِ الحميدة الفردية والاجتماعيّة، وهي تهدي الإنسان إلى استكمال نفسه ومجتمعه، وتُعلّمه كيفيةَ علاجِ الرّذائلِ النفسانية، فهي تدعوه إلى الخيرِ والإحسان، والتّحلّي بمكارم الأخلاق، والانزجار عن الشر والسوء ومساوئ الأخلاق"[٥٢]، مؤكداً أن ضبط النفس يُجسّد فعالية العقل في لحظة التوتر، ويُثبت أن التربية العقلية ليست خطاباً نظرياً، بل نظام تربوي يُدرّب العقل على كبح الانفعالات وتحكيم البصيرة، ويُؤكد ذلك بشرحه لحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ"[٥٣]، ويُعلّق بقوله: "هذا الحديثُ يمثل أهمَّ القواعد في تهذيبِ النفسِ، وأعظم أنحاء التعليم الجامعِ للخير، وأصلٌ من أصول التّربية العملية"[٥٤]، ما يعكس تحولًا في مفهوم القوة والرجولة في الإسلام.

٥- التمييز بين الحق والباطل: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[٥٥]، يُعلّق: "الفرقان الذي هو تنوير القلب والإشراق عليه من الغيب للتمييز بين الحقّ والباطل، يتوقّف على القابلية والاستعداد، وهو الإيمان بالله تعالى الملازم للتقوى، وله مبرز خارجي وهو العمل الصالح"[٥٦]، مؤكداً أن العقل المستنير هو أساس التمييز، وأن البرهان والدليل هما معيار الحكم، لا الظن أو الانفعال.

٦- تطوير المنهج الاستدلالي بين القرآن والعقل: في تفسيره للآية: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٥٧]، يُعلّق: "يشتملُ القرآنُ على كثيرٍ من العقائد الدّينيّة والعلوم الإلهيّة والمعارف الربوبيّة، فهو السابقُ في جميع هذه العلوم، وقد شهدَ بذلك جميعُ الأئمة الهداة الذين هم أحدُ الثقلين، وجميعُ علماء المسلمين"[٥٨]، ويُبيّن أن الآية ترسم منهجاً عقلياً قائماً على الملاحظة والتأمل، يقود إلى اليقين عبر البصيرة، ويُرسّخ أن الحق يُعرف بالدليل لا بالموروث.

٧- تعزيزُ ثقافةِ السّؤال والبحث: يؤكد أن السؤال هو بداية المعرفة، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٥٩]، ويُعلّق: "بيّن سبحانه في هذه الآيات ما يجب التأمل والتعقل والتفكر فيه، وهو خلقُ اللهِ دون ذاته تعالى، والسنةُ متواترةٌ في ذلك، فقد ورد عن الأئمة الهداة عليهم السلام: تفكروا في آيات الله ولا تتفكروا في الله"[٦٠]، مشيراً إلى أن القرآن يدعو للتفكر في آيات الله، لا إلى الإيمان الجبري، بل إلى البحث والتأمل الذي يقود من الملاحظة إلى البرهان.

٨- دمجُ العلومِ العقليّةِ في المناهجِ الدّراسيّة: يرى أن ازدهار الفكر يتطلب إدماج المنطق والفلسفة في التعليم، ويُشير إلى أن

---

[٥١] سورة آل عمران ١٣٤.
[٥٢] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٤١.
[٥٣] البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص٤٢٩.
[٥٤] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص١٤٠.
[٥٥] سورة الأنفال ٢٩.
[٥٦] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٣٢.
[٥٧] سورة فصلت ٥٣.
[٥٨] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص١٢٠.
[٥٩] سورة الغاشية ١٧.
[٦٠] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص٢٢٩.

الفلسفة الإسلامية تعتمدُ على التّفكرِ الذي يدعو إلى العمل، بخلاف الفلسفة اليونانية التي تكتفي بالتأمل النظري،[٦١] ما يعكس الطابع التطبيقي للعقل في الإسلام.

٩- ربطُ التّربيةِ العقليّةِ بالقيَمِ الأخلاقيّة: يشدد على أن العقل لا يكتمل إلا بالبصيرة الأخلاقية، ويقول: "فضل الإنسان لا بد أن يرجع إلى كمال عقله العلميّ والعمليّ، وتأدبه بآداب الله، وتخلّقه بمكارم الأخلاق"[٦٢]، مؤكدًا أن العقل يُقاس بمدى التزامه بمقاصد الخير والرحمة والعدالة، لا بالتحليل المجرد فقط.

١٠- توفيرُ بيئةٍ معرفيّةٍ متكاملة: يرى أن النهضة الفكرية تحتاج إلى بيئة معرفية تُشجّع التفكير والحوار، ويُصرّح: "القوانينُ التي تحدّد حريات الفرد وتكبح جماحَه عن الشهوات، سواء كانت تلك القوانين شرعيةً إلهية أم وضعية، وُضعت لمصلحة الإنسان"[٦٣]، ما يُبرز أهمية التوازن بين الحرية الفكرية والقيم القرآنية في بناء العقل الواعي.

ثالثًا: وسائل التّربية العقلية عند السبزواريّ

يرى السبزواري أن التربية العقلية تهدف إلى تنمية الفكر وتعزيز قدرته على الاستدلال والنقد، وهي ركيزة لبناء الإنسان الكامل المرتبط بالهداية الإلهية، وتتمثل وسائلها في: -

١- القرآن الكريم كمصدر أساسي: يُعرّف التّربية العقلية بقوله: "الغرض الأقصى من سعي الإنسان في الدنيا أن يكون ربانيًا قد تخلّق بأخلاق الله عز وجل، وزكّى نفسه بالتّخلية عن الرذائل، والتّحلية بالفضائل ومكارم الأخلاق، ليستعد بذلك أن يكون معلّمًا للمعارف الإلهية، ومرشدًا إلهيًا، وداعيًا إلى كتاب الله تعالى، ولا ينال هذه الدرجةَ إلا بتهذيب النفسِ وتزكيتها، والتخلق بمكارمِ الأخلاق، وتعلّمِ المعارفِ الحقّة وتعليمها"[٦٤].

٢- التأمل والتدبر في خلق الله: يشير إلى أن هناك آياتٍ "لإرشاد الناسِ إلى التفكّرِ لما في السموات وما في الأرض ممّا فيها من آياتٍ تدلُّ على وحدانيّته وعلمه الأتمّ وحكمته التامّة"[٦٥]، ويراها مفتاحًا لفهم الحقائق، ونورًا يهدي العاقل إلى طريق الكمال.

٣- طلب العلم والجمع بين المعقول والمنقول: يستشهد بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم"[٦٦]، ويدعو للجمع بين العلوم الدينية والعقلية لتحقيق توازن بين الإيمان والتحليل العقلي.

٤- الحوار العلمي والمناظرات: يؤكد أهمية الحوار العقلي القائم على البرهان، ويُثني على منهج الطوسي، مستشهدًا بقوله: "العبادةُ أقسامٌ ثلاثةٌ: قلبيٌّ كالعقائد الحسنة، وبدنيٌّ كالأعمال الحسنة، واجتماعيٌّ كالمعاملات الشرعية والأخلاق الحسنة مع الناس"[٦٧]، ما يعكس شمولية التربية العقلية.

٥- الالتزام بالشريعة وضبط العقل بالأخلاق: يرى أن الشرع يهذّب الفكر، ويقول: "دعوى الكشف لا تستقيم إلا بأمرين: الأول كون من يدعيه كاملًا من حيث العلم بالفلسفة الإلهية، والعمل بالأحكام الشرعية، والثاني ورود تقرير من الشّرع لما

[٦١] المرجع السابق نفسه، ج٧، ص٢٠٣.
[٦٢] المرجع السابق نفسه، ج٤، ص١٢٠.
[٦٣] المرجع السابق نفسه، ج٢، ص٢٤٩.
[٦٤] المرجع السابق نفسه، ج٦، ص١٠٤.
[٦٥] المرجع السابق نفسه، ج٩، ص٣٥٣.
[٦٦] الكافي. ج١، ص٧٢.
[٦٧] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٣٦.

كشف"[٦٨]، مؤكدًا أن العقل لا يستقيم إلا إذا كان محكومًا بالشرع، وأنّ الصلاة تطهّر النفس وتوجّه الفكر.

٦- إدخال الفلسفة والمنطق في التعليم: يوصي بتدريس الفلسفة والمنطق، ويقول: "العلومُ الاستدلاليّةُ مشحونةٌ من الاحتجاجات المتضادّة المتناقضة، مع العلم بكذب أحدِ الطرفين، والعلماء وضعوا علمًا مستقلًا مفصّلًا لبيان الحجّة الصّحيحة مادةً وصورةً، والتمييز بينها وبين أنحاء المغالطة"[٦٩]، ما يُبرز أهمية التمييز العقلي، وكذلك أهمية التدريب على إعمال العقل من خلال إدخال علوم المنطق والفلسفة في التعليم.

٧- يدعو إلى ترسيخ الحوار العقليِّ داخل الأسرةِ والمدرسةِ والبيئةِ العامّة: ويرى أنّ الثّقافة المجتمعيّة التي تحترم السّؤال وتُنمّي مَلَكةَ النّقد تُنتجُ عقلًا اجتماعيًا فاعلًا، ويُعرّف ذلك بقوله: "أصل مادة (ثقف) تدل على الحذق في إدراك الشيءِ وفعله، أي سريع التعلم، ثم استُعملت في مطلقِ إدراكِ الشيء"[٧٠].

رابعًا: تطبيقات التّربية العقلية عند السبزواريّ

يرتكز السبزواري في تطبيقات التربية العقلية على القرآن الكريم، مبرزًا أهمية إعمال العقل وتنمية الفكر، ومن أبرز هذه التطبيقات: -

١- التأويل والتفكير التأملي: يرى أن التدبر يتجاوز القراءة السطحية إلى فهم عميق للنص، ويقول: "أُمرنا بالتعقّل والتدبّر والتفكّر في القرآن الكريم"[٧١]، ويُعلّق على قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٧٢]، بقوله: "الآيات الشريفة من جلائل الآيات وأعاظمها التي تدعو الناسَ إلى التّفكّر والتّدبّر والتّذكّر، وترشدُ المؤمنينَ إلى أهم طريق من طرق السير والسلوك، وتُعلّمهم التّربيةَ الحقيقيةَ"[٧٣]، مؤكدًا أنّ التأمل في الظواهر الكونية يكشف عن نظام دقيق يدل على حكمة الله.

٢- العقل كوسيلة للتمييز بين الحق والباطل: يُفسّر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[٧٤] بقوله: "المراد من النور: نور العقل والفطرة، ومن الظلمات: ظلمات الغواية والضلال، وهذا النورُ هو منشأُ السعادة على نحو الاقتضاء"[٧٥]، ويُبرز أن العقل هو الميزان في الحكم، وأن التفكير النقدي ضرورة شرعية وأخلاقية لمواجهة الجهل والانقياد الأعمى.

٣- تعليم مهارات الاستنباط والتحليل العلمي: يؤكد أن الاستدلال العقلي يعمّق فهم النصوص، ويُعلّق على قوله تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٧٦] بقوله: "الفِكرُ من أهمِّ خصائصِ الإنسانِ، وبه ينتظمُ شؤونه، ويقوم نظام

---

[٦٨] المرجع السابق نفسه، ج١، ص١٧٦.
[٦٩] المرجع السابق نفسه، ج٢، ص٧٥.
[٧٠] السبزواريّ، مواهب الرّحمن في تفسير القرآن. مرجع سبق ذكره، ج٣، ١٣١.
[٧١] المرجع السابق نفسه، ج٥، ص٦١.
[٧٢] سورة آل عمران ١٩٠.
[٧٣] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٧، ص١٦٦.
[٧٤] سورة البقرة ٢٥٧.
[٧٥] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٤، ص٢٩٥.
[٧٦] سورة ال عمران ١٩١.

الدنيا والآخرة، وقد حثّت الكتبُ الإلهيّة الناسَ على التفكر والتدبر"[٧٧]، مشيرًا إلى أن التفكير يشمل الدين والعلم، ويُحفّز الإنسان على البحث والتقصي في مختلف مجالات الحياة.

٤- التفكير المنطقي في الفقه والتفسير: يُعد التفكير المنطقي ركيزة معتمدة في منهجه، ويبرز ذلك في تفسيره للآيات الشرعية، حيث يُحلّل النصوص بأسلوب متكامل، ويقول: "الشأنَ في استنباط الأحكام الشرعيّة وتشخيصها، فخُصّ العلم بها بالوحي والفطرة وما ورد في الكتاب والسنّة الشّريفة، وكذا في التّفكّر والتّذكّر، فخُصّهما بما إذا لم يكن فيه إبطالٌ للسلوك العلميّ الفكريّ، أو مخالفًا للتقوى"[٧٨]، ويُبيّن أن فهم الأحكام يتطلب الجمع بين ظاهر النص ومقاصد الشريعة، ما يجعل التفسير الفقهي أداة تربوية لتنمية التفكير المنهجي.

٥- الحوار العقلي والمناظرات العلمية: يستشهد بحوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع النمرود، ويُعلّق: "المحاجّةُ إنما كانت في تدبير العالم وتربيته، فكان نمرودُ يدّعي ذلك لنفسه، وإبراهيم عليه السلام يُثبته لله تعالى وينفيه عن غيره، ولذلك استشهد ببعض الحوادث مثل إحياء الموتى وشروق الشمس"[٧٩]، مبرزًا أن الانتقال من الحجة المجردة إلى التجريبية يُجسّد قوة العقل في الإقناع، ويُظهر فعالية المناظرة في ترسيخ الفكر النقدي.

٦- ربط العلم الشرعي بالعلوم الحديثة: يوظّف العلوم الطبيعية في تفسيره، ويقول: "يتميز الإنسانُ عن سائر الكائنات الحية في أنه مزيجٌ قوىً متخالفةٍ متصارعةٍ، فهو مركّبٌ من عقلٍ وقلبٍ وإرادةٍ، وقد دلّت عليه التجاربُ وأثبتتهُ البراهينُ العلمية"[٨٠]، مؤكدًا توافق النصوص القرآنية مع البحوث العلمية، ويُوازن بين الفلسفة والعلوم، ويقول: "الفلسفةُ في الإسلام تعتمد على التفكر الذي يدعو إلى العمل، ويتحولُ إلى سلوكٍ ومنهجٍ تطبيقيٍّ في الحياة، فلا تعتمد على التفكر من حيث هو تفكرٌ فقط، كالفلسفة اليونانية التي تعتمد على التفكر والتدبر لأجل التفكر والتدبر فقط"[٨١]، ما يُبرز الطابع التطبيقي للعقل الإسلامي مقارنةً بالفلسفة النظرية، ويعد هذا نتيجة ربط العلوم الطبيعية بالعلوم الشرعية.

٧- تنمية القدرة على حل المشكلات وفق نهج إسلامي: يُشدّد على ضرورة الاستناد إلى العلم واليقين في اتخاذ القرارات، ويُفسّر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٨٢] بقوله: "لا بدَّ في الاستفادة من القرآن الكريم في عدم الاجتهاد الشخصيِّ، بل ردُّ الآيات بعضها إلى بعض، والاستعانة بالسّنّة المقدّسة، وأنَّ التفسيرَ بالرأي هو القولُ بغير علم"[٨٣]، مؤكدًا أهمية التحقق من المعلومات قبل إصدار الأحكام، ويُبرز أهمية المشاورة، ويُفسّر قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٨٤] بقوله: "المشاورةُ هي المناظرةُ والمراجعةُ في أخذ الرّأي واستخلاصه

[٧٧] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٧، ص١٧١.
[٧٨] المرجع السابق نفسه، ج١١، ص١٨٧.
[٧٩] المرجع السابق نفسه، ج٤، ص٣٢١.
[٨٠] المرجع السابق نفسه، ج٢، ص٣٠٩.
[٨١] المرجع السابق نفسه، ج٧، ص٢٠٢-٢٠٣.
[٨٢] سورة الاسراء ٣٦.
[٨٣] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٥، ص٥٧.
[٨٤] سورة ال عمران ١٥٩.

من الغير"[٨٥]، كما يُحذّر من الاعتماد على الظن، ويُفسّر قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[٨٦] بقوله: "المرادُ من الظّنِّ في اصطلاحِ القرآنِ الكريمِ هو كلُّ ما خالفَ الواقعَ"[٨٧]، ويُؤكد أن التفكير النقدي أساس القرار الأخلاقي، ويُفسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ﴾[٨٨] بقوله: "تربيةُ الإنسانِ تربيةً حقيقيةً كاملةً، التي لم يُخلَق العالم إلا لأجلها، فأولو الألبابِ همُ الذينَ يقرّون بغاية الخليقةِ وتربيبِ الخالقِ الكريمِ لها"[٨٩]، مشيرًا إلى أن أولي الألباب هم أصحاب العقول المستنيرة القادرون على التمييز بين الحق والباطل.

وبذلك نخلص إلى أن السبزواري يُقدّم نموذجًا تربويًا يُحوّل النصوص الدينية إلى أدوات عقلية تُنمّي التفكير، وتُدرّب على الاستنباط، وتُؤسّس لاجتهادات شرعية عقلانية، تُزاوج بين النقل والعقل، وبين النص والمقصد، وبين الفهم والتحليل.

*** نقاط الالتقاء بين "روح المعاني" و"مواهب الرحمن" في التربية العقلية**

هناك عدة قضايا مفاهيمية التقى فيها كل من الألوسي والسبزواري في مجال التربية العقلية يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية: –

أولًا: التّقاطعِ التربويّ العقليِّ بين الألوسيّ والسبزواريّ

١- العقل كمفتاح للفهم الديني والترقي الاجتماعي: يتفق الألوسي والسبزواري على أن العقل ليس مجرد أداة تحليلية، بل يمثّل وسيلة للارتقاء الروحي، والفهم الديني السليم، والتجديد الاجتماعي والسياسي، ويرفض كلاهما حصر وظيفة العقل في الجانب الأداتي فقط، ويقدمانه كقوة بنائية للتأويل الواعي والتفاعل النقدي مع النصوص والواقع.

في "روح المعاني"، يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[٩٠]: "لا تتبعِ الهوى لأنه يكونُ سببًا لضلالك، ولأنّ اللهَ تعالى لم يخلقِ العالَمَ لأجل متابعةِ الهوى، بل خلقه للتّوحيد والتّمسّك بالشّرع، فلا تغفل"[٩١]، مؤكدًا أن العقل يجب أن يكون خادمًا للتوحيد ومحصنًا بالشّرع، لا تابعًا للرغبات، ما يعزز رؤيته التربوية للعقل كوسيلة للثبات على الحق.

أما السبزواري في "مواهب الرحمن"، فيقول: "ولا يسلم منه أحدٌ إلا بترويضِ النّفس على التّقوى، وإرغامِها على الصّبر على طاعة الله، وترك المعاصي والآثام، ومراقبتها على الدوام"[٩٢]، مبرزًا أن العقل لا يكتمل إلا بمجاهدة النفس، وأن الفهم الصحيح للدين يتطلب تهذيبًا مستمرًا، ما يجعل العقل أداة للتقوى والتزكية، لا للفهم النظري فقط.

---

[٨٥] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٧، ص٨.
[٨٦] سورة النجم ٢٨.
[٨٧] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١٠، ص١١٩.
[٨٨] سورة الزمر ٩.
[٨٩] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٧، ص١٧٦.
[٩٠] سورة ص ٢٦.
[٩١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٢، ص١٨٠.
[٩٢] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١٠، ص١٢.

٢- الاشتراك التربوي رغم اختلاف المنطلقات: رغم اختلاف الألوسي والسبزواري في الانتماء العقائدي، إلا أنهما يتفقان في أن العقل عنصر جوهري في بناء الإنسان، وأداة لترقية الفهم الديني، لا خصمًا للنصوص، ويشتركان أيضًا في نقد التقليد الأعمى والانقياد العاطفي، ويؤكدان أن التدبر والتأمل شرط للفهم الصحيح، كما ورد في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٩٣].

في "روح المعاني"، يشرح الألوسي الآية بقوله: "أي لا يلاحظونه ولا يتصفّحونه وما فيه من المواعظ والزّواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا تمثيلٌ لعدم وصولِ الذكر إليها وانكشافِ الأمر لها"[٩٤]، فيصل إلى أن غياب التدبر يؤدي إلى الخطايا، وأن العقل نافذة لفهم الموعظة الإلهية.

أما السبزواري في "مواهب الرحمن"، فيقول: "للقرآن الكريم الأثر الكبير في إصلاح النّفوس المريضة، وإنّ الكتابَ التكوينيَّ كالكتاب التشريعيّ لا اختلاف فيهما، فإذا كانَ التّدبّر في القرآن العظيم موجبًا لرفع الشكّ والتردّد، كذلك له الأثرُ في رفع شكوكِ النفوسِ وتثبيتها على الإيمان"[٩٥]، ويضيف: "يدلّ على لزوم النظرِ في الجملة في الحجج والأمارات وبطلان التّقليد في أصول المعارفِ الإلهيّة"[٩٦]، مؤكدًا أن التدبر منهج إصلاحي شامل، يثبت الإيمان ويرسّخ العقل في بناء المعرفة الإلهية.

٣- العقل أداة استدلال وتكوين أخلاقي: يتفق الألوسي والسبزواري على أن العقل ليس مجرد وسيلة لفهم الأحكام، بل هو نور يهدي إلى التمييز بين الحق والباطل، ويُفعّل في سياق التقوى والعمل الصالح، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٩٧].

في "روح المعاني"، يقول الألوسي: "يَجْعَلْ لَكُمْ بسبب ذلك الاتقاء فُرْقَانًا، أي هدايةً ونورًا في قلوبكم تفرّقون به بين الحقِّ والباطل"[٩٨]، مؤكدًا أن الفرقان لا يُكتسب بالعقل وحده، بل يتطلب صفاء الضمير واستقامة النية.

أما السبزواري في "مواهب الرحمن"، فيقول: "الفرقانُ الذي هو تنويرُ القلبِ والإشراقُ عليه من الغيبِ للتمييز بين الحقِّ والباطل، يتوقّفُ على القابليّة والاستعداد، وهو الإيمانُ بالله تعالى الملازمِ للتّقوى، وله مبرزٌ خارجيٌّ وهو العملُ الصالح"[٩٩]، فيصل بذلك إلى أن العقل انعكاس لنور داخلي يُكتسب بالتزكية ويُترجم في السلوك.

٤- التأسيس لمشروع تربوي مشترك: أسّس الألوسي والسبزواري قاعدة معرفية لبناء مشروع تربوي إسلامي معاصر، يتجاوز الانقسامات المذهبية، ويعيد الاعتبار لوحدة المرجعية العقلية، مؤكدين أن التماسك الروحي والفكري

---

[٩٣] سورة النساء ٨٢.
[٩٤] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٣، ص٢٢٩.
[٩٥] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٩، ص٨٧.
[٩٦] المرجع السابق نفسه، ج٩، ص٨٨.
[٩٧] سورة الأنفال ٢٩.
[٩٨] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٥، ص١٨٤.
[٩٩] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٩، ص٣٣٢.

يتحقق بالاعتصام بالوحي والعمل الجماعي، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[١٠٠].

في "روح المعاني"، يشرح الألوسي: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا، وهو عهده الذي أخذه على العباد يومَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وَلا تَفَرّقُوا باختلاف الأهواء، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ بالهداية إلى معالم التوحيد المفيد للمحبة في القلوب، إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً لاحتجابكم بالحجبِ النفسانية والغواشي الطبيعيّة، فَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ بالتّحاب في الله تعالى لتنورها بنوره، فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوانًا في الدّين"[١٠١]، مؤكدًا أن العقل أداة للوحدة الروحية القائمة على التوحيد والمحبة الإلهية.

أما السبزواري، فيقول: "الاعتصامُ بحبل الله تعالى إنما هو أمرٌ من الأمور الاجتماعيّة التي تؤثّر في المجتمع، ولا يمكن أن يُنالَ الأثرُ المطلوبُ منه إلا بعمل جميع أفراد المجتمع به وعدم التفرق عنه بوجه من الوجوه، وعلى هذا لا بد أن يكون هذا الحبلُ ذا أثرٍ اجتماعيّ قويمٍ وله التأثيرُ الكبيرُ في المجتمع، ويكونَ مقبولًا لديهم، وهم مأمورونَ بالتمسّك به عملًا، وهو بمنزلة الروح للأمّة، ولولاه لما كان للأفراد أثرٌ أصلًا، بل كانوا كالجسم بلا روح"[١٠٢]، مبرزًا أن العقل الجماعي يتشكل بالتمسك المشترك بالوحي، ويُفعّل من خلال العمل الصالح والتكافل الروحي.

ثانيًا: مركزيّة القرآن في ترسيخ وظائف العقل

١- العقلُ كأداةٍ تربويّةٍ لا استدلاليّة فقط: يرى الألوسي والسبزواري أن العقل ليس أداة استدلال فقط، بل وسيلة للفهم الديني والترقي الروحي، وفي ذلك يقول الألوسي: "أصلُ التّدبّر التّأمّل في أدبار الأمور وعواقبها"[١٠٣]، مؤكدًا أن التدبر عملية عقلية عميقة، ويقول السبزواري كذلك: "إنّ الرجوعَ إلى القرآنِ والتّدبّر فيه والتّفكير في معانيه والعملَ بما ورد فيه، توجبُ رفعَ الشّكّ واختلافَ النّفوس وضعفَ الإيمان، وتورثُ ثباتَ القلوب واستقامَتِها، والطّاعةَ التّامّةَ لله والرسول"[١٠٤]، رابطًا التدبر بالتحول النفسي والإيماني.

٢- رفض التقليد الأعمى وتحرير العقل من الجمود: ينتقد الألوسي الانقياد للهوى، فيقول: "تعجيبٌ من حال من ترك متابعةَ الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنّه يعبده"[١٠٥]، معتبرًا ذلك عبادة باطلة، بينما يقول السبزواري: "وإنّما يعبد العابدونَ أهواءَهم النّفسانيّة التي أفنوا جميع حيثياتهم وشؤونهم فيها"[١٠٦]، مبرزًا كيف يبتلع الهوى الإنسان ما لم يتسلّح بالعقل الواعي.

٣- علاقة العقل والوحي التكاملية: يتفق الألوسي والسبزواري على أن العقل لا يُقصي الوحي بل يتكامل معه، حيث يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١٠٧]: "لَذِكْرى لتَذكِرةٍ وعِظَةٍ لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ، أي قلبٌ واعٍ يدركُ

---

[١٠٠] سورة آل عمران ١٠٣.
[١٠١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢، ص٢٤٨.
[١٠٢] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٢٧.
[١٠٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٣، ص٨٩.
[١٠٤] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٩، ص٨٨.
[١٠٥] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٣، ص١٤٩.
[١٠٦] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٤، ص٤٠٩.
[١٠٧] سورة ق ٣٧.

الحقائقَ فإنّ الذي لا يعي ولا يفهم بمنزلة العدم"[١٠٨]، مؤكدًا دور القلب الواعي في فهم الوحي والتكامل معه، فيما يقول السبزواري: "أطوارُ القلوب وحالاتها في قُربها إلى الله تعالى وبُعدها عن غيره تارةً والتّوجّه إلى دنيا أخرى معلومة لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد"[١٠٩]، مشيرًا إلى أن العقل لا يعمل إلا بحضور القلب المنصت.

٤- التربية العقلية كمدخل لبناء الإنسان الكامل: يرى السبزواري أن التفكر عبادة، والعقل رسول باطني، ويؤكد الألوسي أن الفقيه الحق يجمع بين نور العقل والكتاب.

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١١٠] يقول الألوسي: "الصبر على مشاقّ العبادات وأنواع البليّات وحبس النّفس عن ملاذ الشّهوات والإيقان بالآيات، فمن يدعي الإرشادَ وهو غير متّصفٍ بما ذكر فهو ضالٌ مضلّل"[١١١]، رابطًا الهداية بتفعيل العقل عبر الصبر والإيقان، فيما يقول السبزواري: "الصّبر من أهمّ مقومات حياتهم فهو من أقوى محققات شؤونهم، فما بعث الله تعالى نبيًا ولا أرسل رسولًا، بل ولم يفضْ علمًا على عالمٍ إلّا وكان الصبرُ أليفه حتى صار النصرُ حليفه"[١١٢]، مؤكدًا أن العقل لا يُثمر إلا في بيئة من الثبات والمجاهدة.

ثالثًا: التفكّر الكوني كأداة للتربية العقلية

يتفق الألوسي والسبزواري على أن التفكّر في الكون ليس مجرد تأمل نظري، بل أداة تربوية تُنتج عقلًا نقديًا متدينًا يربط بين المخلوقات والخالق ويُرسّخ الإيمان بالبرهان.

في "روح المعاني"، يتبنى الألوسي منهجًا متدرجًا يبدأ بالدهشة، ثم التساؤل، ثم الربط، ويقول في تفسيره لقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[١١٣]: "وفي ذلك رمزٌ إلى أنّ الآيات الظّاهرة وإن كانت كثيرةً في نفسها، إلا أنّها قليلةٌ في جنب ما خفيَ منها في خزائن العلم ومكامن الغيب، ولم يظهر بعدُ لِأُولِي الْأَلْبابِ، أيّ لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الحسّ والوهم"[١١٤]، مؤكدًا أن التفكّر الحقيقي يتجاوز الظواهر إلى المعاني الغيبية، ويُعد مدخلًا للمعرفة الإلهية.

أما السبزواري، فيجمع بين الشهود الروحي والبرهان العقلي، ويرى أن كل ذرة في الكون تحمل دليلًا على التوحيد، ويقول في تفسير الآية أنها "من جلائل الآيات وأعاظمها التي تدعو الناسَ إلى التّفكّرِ والتّدبّرِ والتّذكّر، وترشدُ المؤمنينَ إلى أهمِّ طريقٍ من طرق السّير والسّلوك، وتُعلّمهم التّربيةَ الحقيقيّةَ، وهي تطبيقُ المشاعر الإيمانيّة في سلوكٍ عمليٍّ، وإبرازها في عملٍ واقعيّ"[١١٥]، معتبرًا أن التفكّر يُنتج يقينًا عقليًا

[١٠٨] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٣، ص٣٤١.
[١٠٩] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٣، ص٣٧٧.
[١١٠] سورة السجدة ٢٤.
[١١١] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١١، ص١٣٩.
[١١٢] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٢١٦.
[١١٣] سورة آل عمران ١٩٠.
[١١٤] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢، ص٣٦٧.
[١١٥] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٧، ص١٦٦.

متدرجًا، ويتحول إلى التزام عملي وسلوك روحي، ما يجعله أداة تربوية شاملة.

رابعًا: العقل بين التزكية والانحراف

١- العقل بين الهداية والإضلال: يرى الإمامان الألوسي والسبزواري أن العقل لا يعمل بفاعلية إلا إذا تزكّى وخضع لنور الهداية، أما إذا استسلم للهوى، فإنه يتحول من وسيلة للهداية إلى أداة للضلال.

يفسر الألوسي في تفسيره "روح المعاني" قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[١١٦] بقوله: "متى أخلدتِ النفسُ إلى الأرض واتبعتْ هواها، وآثرتْ شهواتها على مولاها، أمرتُ بقتلها بكسر شهواتها وقلعِ مشتهياتها ليصحَّ لها البقاءُ بعد الفناء، والصّحوُ بعد المحو، وليستِ التوبةُ الحقيقيّة سوى محوِ البشريّة بإثبات الألوهيّة، وهذا هو الجهادُ الأكبر والموت الأحمر"[١١٧]، معتبرًا أن تحرير العقل من الهوى هو جوهر التوبة، ومفتاح البقاء الحقيقي.

أما السبزواري فيقول: "إنهم يحبّون الحياةَ ويؤثرون البقاءَ، ولهم في ذلك حرصٌ شديدٌ ليس لهم في النّاس من نظير، وهذا واضحٌ لمن انغمر في الماديّات وسُلبتْ قواه، وغرّته الحياةُ الدّنيا وزبرجها، فاتّخذ إلَهَهُ هواه فلم يؤمن بما وراءها شيئًا"[١١٨]، مؤكدًا أن الانغماس في الماديات يسلب العقل قدرته على إدراك المعنى، ويقطع صلته بالنور الإلهي.

٢- تكامل العقل والقلب في القرآن: يتفق الألوسي والسبزواري على أن الإدراك الحقيقي لا يتم بالحواس الظاهرة فقط، بل بالبصيرة التي تُفعّل العقل في سياق الإيمان.

يقول الألوسي في تفسير قوله تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[١١٩]: "أي لا يفقهون الحقَّ ودلائله، ولا يبصرونَ ما خلق اللهُ تعالى إبصارَ اعتبارٍ، ولا يسمعونَ الآياتِ والمواعظَ سماعَ تأملٍ وتفكرٍ"[١٢٠]، مبرزًا أن أدوات الإدراك تُعطّل وظيفيًا حين تغيب البصيرة.

في حين يقول السبزواري: "ليس المراد بالقلب والسمع والبصر في المقام ما هو الموجود في البهائم، إذ ليس ذلك مناطَ الفضلِ حتى يُختم عليه، بلِ المرادُ منه العقلُ الذي يُعبد به الرّحمن، ويُكتسبُ به الجنان، ويُغلق به أبواب النيران"[١٢١]، مؤكدًا أن العقل لا يُفعّل إلا حين يرتبط بالقلب، ويُصبح وسيلة للعبادة والنجاة.

خامسًا: المنطلق العرفاني الفلسفي للتربية العقلية

١- التكامل بين العقل والوحي والفطرة: يتفق الألوسي والسبزواري على أن العقل لا يكفي وحده للهداية، بل يتكامل مع الفطرة ويستنير بالوحي.

في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ

---

[١١٦] سورة الجاثية ٢٣.

[١١٧] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص٢٦٢.

[١١٨] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٣٣٣.

[١١٩] سورة الأعراف ١٧٩.

[١٢٠] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٥، ص١١٢.

[١٢١] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٨٤.

الدّين الْقَيِّمُ﴾[١٢٢]، يقول الألوسي: "المرادُ بفطرهم على دين الإسلامِ خلقهم قابلينَ له غير نابين عنه ولا منكرين له، مجاوبًا للعقل، مساوقًا للنظر الصحيح"[١٢٣]، مؤكدًا أن العقل الصافي مستعد للهداية إذا تحرر من التقليد والهوى.

فيما يقول السبزواري: "إنّ فطرة الناس هي أساسُ الكمالات ومنبعُ الخيرات وأصلُ الفواضل والمكارم ولها السلطة على جميع مشاعر الإنسانِ إذا لم يعتريها الضّلال والغواية، ولم يتلبّس بما يفسد الفطرة من الرذائل والمنكرات والجرائم"[١٢٤]، معتبرًا أن العقل مرآة الفطرة، لا يثمر إلا بنور الوحي.

٢- العقل غير معصوم ويحتاج إلى تهذيب داخلي: الألوسي والسبزواري ينتقدا العقل المتغطرس الذي يُقصي الوحي.

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[١٢٥]، يقول الألوسي: "نهى جلَّ وعلا عن إطاعة من أغفل قلبَهُ واتّبع هواه وكان أمرُه في اتّباع الهوى وترك الإيمان فرطًا، أي ضياعًا وهلاكًا"[١٢٦]، مؤكدًا أن العقل المهتدي يتواضع أمام النصوص.

كما يقول السبزواري: "إنّ اتّباع الهوى من أشدِّ الرذائلِ تأثيرًا على النفس في إبعادها عن الواقع، وأكبرِ الموانعِ من الوصولِ إلى المقامات العالية"[١٢٧]، مشددًا على أن العقل لا يكون حجة إلا إذا تنزّه عن الأهواء واحتكم إلى الوحي.

٣- التفسير العقلي المستنير بالنص الديني: يرى الألوسي أن العقل مأمور بالتفكر لا بالحكم المستقل، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[١٢٨] يقول: "يتفكرون، فالعقلُ مجازٌ عن التّفكّر الذي هو ثمرته"[١٢٩]، مؤكدًا أن العقل وسيلة لاستخراج العبر من الآيات.

بينما يقول السبزواري: "العقلُ يدعو إلى الله تبارك وتعالى، كما أنّ الأنبياءَ يدعون إليه، إلا أنّ العقلَ حجّةٌ داخلية، والنبيّ حجّةٌ ظاهرية"[١٣٠]، معتبرًا أن العقل حجة إيمانية بشرط استنارته بالوحي.

هنا نجد أنّ إعمالَ العقل مطلوبٌ وضروريٌّ عند كل من الألوسي والسبزواري، بشرط أن يكون خاضعًا للوحي، ومستضيئًا بنوره، لا متعاليًا عليه أو منفصلًا عنه، فالعقلُ في هذا السياق ليس مصدرًا مستقلًا للتّشريع أو التّأويل بل إنه وسيلة لفهم الآيات.

---

[١٢٢] سورة الروم ٣٠.
[١٢٣] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١١، ص٤١.
[١٢٤] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٩، ص٢٩٠.
[١٢٥] سورة الكهف ٢٨.
[١٢٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٨، ص٢٥٣.
[١٢٧] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١٠، ص١٩.
[١٢٨] سورة النحل ٤٣-٤٤.
[١٢٩] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١، ص٤٣١.
[١٣٠] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص٢٣٥.

*** نقاط الاختلاف بين "روح المعاني" و"مواهب الرحمن" في التربية العقلية**

رغم اتفاق الألوسي والسبزواري في عدة قضايا بما يخص التربية العقلية، إلا أنهما يختلفان في مجموعة من النقاط أهمها: –

أولًا: مشروعيةُ العقلِ في فكرِ كلٍّ من الألوسيّ والسبزواريّ

يتحفظ الألوسي في منح العقل صلاحية التشريع أو الاستقلال المعرفي، ويرى أن وظيفته تنحصر في فهم النص لا تجاوزه، ويقول في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١٣١]: "يجبُ عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعًا لرأيه عليه الصلاة والسلام، واختيارهم تلوًا لاختياره"[١٣٢]، مؤكدًا أن العقل لا يناقش الحكم الإلهي بل يخضع له، كما يُفسر قوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٣٣] بقوله: "المرادُ بأهل الذّكر علماءَ أخبارِ الأمم السّالفة كائنًا من كان، فالذكر بمعنى الحفظ، كأنه قيل: اسألوا المطّلعينَ على أخبارِ الأمم يعلموكم بذلك"[١٣٤]، مبرزًا أن المرجعية للنقل لا للتأويلات الذاتية، ورغم هذا التحفظ يعترف بمكانة العقل في فهم النصوص، لكنه يُصر على أن العقل يخدم الوحي ولا يهيمن عليه.

أما السبزواري فيرى أن العقل نور باطني وحجة داخلية، إلى جانب الوحي والفطرة، ويُعد من ينابيع المعرفة المستقلة، ويُفسر قوله تعالى ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١٣٥] بقوله: "الهداية: الدّلالةُ، سواءَ كانت إلى الحقِّ أو الباطل"[١٣٦]، معتبرًا أن العقل يُثمر فقط إذا استضاء بنور الوحي وتطهّر من الهوى، كما يُفسر قوله تعالى ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[١٣٧] بقوله: "النور نور العقلِ والفطرة، ومن الظلماتِ ظلماتِ الغوايةِ والضّلال"[١٣٨]، مؤكدًا أن العقل والفطرة والشرع قوى متكاملة تُنتج بصيرة تربوية، ويُعزز مكانة العقل في تفسير القرآن، مؤمنًا بأن المعرفة تمر عبر الشك المنهجي، وأن اليقين يُنال بالتأمل والبرهان.

وهكذا يتبين الاختلاف الجوهري بينهما، فالألوسي ينتمي إلى المدرسة الأثرية التقليدية، ويُقيّد العقل بوظيفة خادمة للشرع لا يتجاوزها ولا يستقل عنها، أما السبزواري فينتمي إلى مدرسة الحكمة والعرفان، ويُؤمن بأن العقل نور موهوب من الله، له صلاحية الكشف عن الحقائق، ويُؤسس لتربية عقلية تهدف إلى الترقي الوجودي، وتُفعّل العقل في سياقٍ من التزكية والصّفاء الروحي.

---

[١٣١] سورة الأحزاب ٣٦.
[١٣٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١١، ص٢٠٢.
[١٣٣] سورة النحل ٤٣.
[١٣٤] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٧، ص٣٨٦.
[١٣٥] سورة البلد ١٠.
[١٣٦] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٣٨.
[١٣٧] سورة البقرة ٢٥٧.
[١٣٨] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٤، ص٢٩٥.

ثانيًا: البنية المرجعية للعقل عند الألوسي والسبزواري

يؤسس الألوسي منهجه على تبعية العقل بشكل صارم للنصوص، فلا يجوز للعقل أن يتقدم على ظاهر القرآن أو السنة، ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[١٣٩] يقول: إشارةً إلى أنّ دقائقَ المعارف لا يعرفُها إلا أصحابُ الأحوال العالمون به تعالى وبصفاته وسائر شؤونه سبحانه لأنّهم علماءُ المنهج"[١٤٠]، معتبرًا أن التعقل هو فهم ما يرشد إليه الوحي، لا اجتهاد مجرد. فهو يتبنى موقفًا نقديًا من الفلاسفة والمتكلمين، ويرى أن تقديم العقل على النص سبب في الانحراف، خاصة في قضايا الصفات الإلهية والغيبيات، ويفسر كثيرًا من آيات العقل بمفهوم التذكير والإذعان للنص، لا بالتأويل العقلي البحت.

بينما يرى السبزواري العقل شريكًا في الهداية، ومنبعًا أوليًا لفهم مقاصد النص، لا مجرد تابع له، ويقول: الرسولُ والعقلُ والقرآنُ والإسلامُ، فإنّ كلَّ واحدة منها تهدي إلى الأخرى وتدعو إليها، فإنّ بها يخرج العبادُ من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان"[١٤١]، مؤكدًا أن العقل يُسهم في تأويل المتشابهات وربطها بالحقائق الوجودية، كما أنه يصف العقل بأنه "نورٌ إلهيّ"[١٤٢] قادر على إدراك المجردات إذا تطهر من الهوى، ويعده شريكًا في فهم الشرع، ويؤمن بأن عالم الغيب ممتد في باطن الإنسان، وأن القلب إذا صلح صار مرآة للغيب، والعقل إذا تزكى أدرك إشارات الوحي.

وهكذا يتبين الاختلاف الجوهري بينهما، فالألوسي ينتمي إلى تيار سلفي يُعلي من شأن النص، ويرى العقل في موقع الخضوع، ويُحذر من الفلسفة والمنطق.

أما السبزواري فيقدم نموذجًا عقلانيًا تأويليًا يُفعّل العقل في فهم النص، ويُربّي على التزكية والتأمل، لبناء عقل إيماني متزن يوازن بين البرهان والنور، وبين الظاهر والباطن.

ثالثًا: البُعد الفلسفي والعرفاني في التربية العقلية

يمثل الألوسي الاتجاه العقلاني النقلي، إذ يتخذ موقفًا محافظًا من الفلسفة الصوفية والعرفان، ويبتعد عن التأويلات الفلسفية، ملتزمًا بالمنهج التفسيري القائم على اللغة والسياق والآثار. وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[١٤٣]، يقول: "هم أهلُ القرآنِ، المتخلّقونَ بأخلاقه، القائمونَ بأمره ونهيه، الواقفونَ على ما أودع فيه من الأسرار والغيوب"[١٤٤]، مؤكدًا أنه لا يُقصي البعد الروحي، لكنه يُبقيه ضمن دائرة النقل الموثوق، ويرى أهل الذكر حملة البيان القرآني لا أهل الذوق.

أما السبزواري فيمثل الاتجاه العقلاني العرفاني الوجودي، لأنه ينتمي إلى المدرسة الحكميّة العرفانيّة، ويستند إلى مفاهيم فلسفية مثل "العقل النوري" و"العقل الفعلي"، ويُوظفها في مشروع تربوي قائم على الترقي الوجودي، ففي

[١٣٩] سورة العنكبوت ٤٣.
[١٤٠] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١١، ص١٦.
[١٤١] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج١١، ص٩١.
[١٤٢] المرجع السابق نفسه، ج٣، ص٢٧٨.
[١٤٣] سورة النحل ١٢.
[١٤٤] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٧، ص٣٣٩.

تفسيره لقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[١٤٥] يقول: "العلم بالحقائق المستورة عن الحواس الظاهريّة لا يحصل إلّا لمن كان متزّهًا عن المادّة والماديّات، والله تبارك وتعالى فوق ما نتعقّله من التنزه عنها"[١٤٦]، معتبرًا أن المعرفة تتدرج من الحس إلى العقل إلى الشهود، وأن العقل وسيلة للترقي الروحي، لا مجرد أداة تحليلية.

فالاختلاف الجوهري يظهر من خلال تركيز الألوسي على البيان اللغوي والسياقي وتفسيره للنصوص ضمن حدود الظاهر، مقابل تعمق السبزواري في البعد الروحي، وجعل العقل وسيلة للترقي في مراتب الوجود، مؤسسًا لمعرفة تقوم على التزكية والتجرد والانفتاح على النور الإلهي.

رابعًا: طبيعة العقل عند الألوسي والسبزواري

يرى الألوسي أن العقل أداة تحليل وخضوع للنصوص، وظيفته مقيّدة بحدود الوحي ولا يُسمح له بتجاوزه، ويُفسر قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١٤٧] بقوله: "التّكليمُ بغير واسطةٍ منتهى مراتبِ الوحيِ وأعلاها"[١٤٨]، مؤكدًا أن الوحي هو المصدر الأعلى للمعرفة، والعقل يُستعمل لفهمه لا لتجاوزه، ويُبقيه في دائرة البيان والتفسير ضمن منهج نقلي صارم.

بينما يرى السبزواري أن العقل أداة شهودية بعد التزكية، وسيلة للترقي في مراتب الوجود، لا مجرد أداة تحليل جامدة، ويُفسر قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[١٤٩] بقوله: "أطوارُ القلوب وحالاتها في قربها إلى الله تعالى وبعدها عن غيره تارة، والتوجّه إلى الدّنيا تارةً أخرى، معلومةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، وتدلُّ على ذلك الأدلّة الكثيرة العقليّة والنقليّة"[١٥٠]، معتبرًا أن العقل هو "قلب شهودي"، مرتبط بالتزكية والسماع الداخلي، يُبصر ما وراء الظواهر ويدرك المعاني الغيبية، ويسهم في بناء الإنسان الكامل.

فالفرق الجوهري يتمثل في أن الألوسي يُوظّف العقل لفهم النصوص ضمن حدود النقل، بينما السبزواري يُوظّفه كوسيلة للترقي الوجودي، بعد تنقيته وتسديده بنور الوحي، ليُصبح أداة شهودية تُفعّل الحضور الروحي في الواقع.

خامسًا: العلاقة بين العقل والهوى عند الألوسي والسبزواري

يرى الألوسي أن الهوى يُفسد العقل ويُعطل بصيرته، ويُفضي إلى الظلم والجهل، ويُعالج ذلك عبر الضوابط الشرعية والنقلية دون الخوض في تفاصيل التزكية الداخلية ويُفسر قوله تعالى ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١٥١] بقوله: "إِنّ اللّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ الذين ظلموا أنفسَهم فانهمكوا في اتّباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحقِّ

[١٤٥] سورة البقرة ٢٨٢.
[١٤٦] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٤، ص٥٠.
[١٤٧] سورة النجم: ٣-٤.
[١٤٨] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٣، ص١٩٣.
[١٤٩] سورة ق ٣٧.
[١٥٠] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٣، ص٢٧٧.
[١٥١] سورة الروم ٢٩.

المبين"[١٥٢]، مؤكدًا أن العقل يُضبط من الخارج عبر النص، لا يُطهّر من الداخل، ما يعكس منهجه النقلي التحذيري.

بينما يؤسس السبزواري لمشروع تربوي يبدأ من تطهير القلب ليشرق العقل، ويرى أن العقل لا يعمل إلا في بيئة من الصفاء الروحي والتزكية الأخلاقية، ويربطه بالإيمان كشرط للهداية. ويُفسر قوله تعالى ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[١٥٣] بقوله: "من مبادئ هذا المسلك هو إعداد الإنسان علميًا بأنّ كلّ ما يصدر منه من الأفعال، وما يقع من الأمور، كلها صادرةٌ عن قانون القضاء والقدر الإلهي"[١٥٤]، معتبرًا أن العقل مرآة لا تضيء إلا إذا صُقلت بنور الوحي وتطهّرت من الهوى، ليُصبح أداة شهودية تُبصر المعاني الغيبية.

ويتضح الفرق الجوهري بينهما من خلال أن الألوسي يُبقي العقل في دائرة الانضباط الخارجي محكومًا بالنص، بينما السبزواري يُفعّل العقل من الداخل عبر التزكية والإيمان، ليمنحه وظيفة روحية تتجاوز التحليل إلى الإدراك الغيبي.

*** النتائج والتوصيات**

أولًا: النتائج

خلصنا في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها: –

١– إن مفهوم التربية العقليّة لدى الألوسي يقوم على تحقيق التوازن بين التراث الإسلامي والعقلانية الحديثة، حيث يُولي أهمية كبيرة للتفكير النقدي في فهم النصوص الدينية، بعيدًا عن القراءة السطحية أو التلقين الآلي، وقد سعى الألوسي إلى التوفيق بين احترام النصوص الشرعية وإعمال العقل، دون أن يسمح للعقل بالهيمنة على النص أو تجاوزه.

٢– يُعدّ منهج الألوسي التربوي نموذجًا رائدًا في الفكر الإسلامي، إذ لم يقتصر على الحفظ والتلقين، بل ركّز على تنمية العقول وإعداد أجيال قادرة على التفكير والتحليل والاستنباط، من خلال وسائل متعددة أبرزها: التأمل في النصوص الشرعية، الاجتهاد الفقهي، تنمية التفكير النقدي، تحقيق التوازن بين العقل والنقل، رفض التقليد الأعمى، الدعوة إلى التجديد الفكري، بالإضافة إلى اعتماد الحوار والمناظرة كوسيلة لصقل الفكر وبناء المواقف المتزنة.

٣– قدّم الألوسي تطبيقات عملية لمنهجه في التربية العقلية، من خلال تفسيره العقلي للنصوص، وتوظيفه للاجتهاد الفقهي، وتأكيده على التربية العلمية القائمة على التجربة والملاحظة، إلى جانب التربية النفسية التي تحقق التوازن بين الروح والجسد، والتربية الأخلاقية التي تربط بين العقل والضمير، وتسعى إلى بناء إنسان صالح بفكره وسلوكه، ما ينعكس إيجابًا على بناء مجتمع واعٍ ومتماسك.

٤– تناول السبزواري التربية العقلية من منظور عرفاني وفلسفي، مستندًا إلى النصوص القرآنية، ومبرزًا أهمية التفكير والتأمل والنقد والاستدلال في بناء وعي الإنسان ورفع مستواه الإدراكي والمعرفي، وقد ركّز على تنمية القدرة على التفكير السليم، وتطوير مهارات التفكير النقدي، ورفض التسليم المطلق بالأفكار دون دليل، كما عدَّ التأمل في خلق الله مدخلًا

[١٥٢] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٠، ص٣٠٠.

[١٥٣] سورة التغابن ١١.

[١٥٤] مواهب الرّحمن في تفسير القرآن، ج٢، ص٣١٤.

معرفيًا نحو الإيمان، وأكد على أهمية ضبط الانفعالات لبناء شخصية متزنة قادرة على اتخاذ قرارات رشيدة.

٥- رأى السبزواري أن العقل هو الميزان الذي يستند إليه الإنسان في التمييز بين الحق والباطل، وأن المنهج الاستدلالي يجب أن يربط بين المشاهدة والتفكر والاستنتاج، كما شدّد على ضرورة تحفيز العقل على السؤال والبحث في آفاق الكون والأنفس، ليرتقي من الملاحظة إلى البرهان، ورأى أن ازدهار الفكر في المجتمعات الإسلامية لا يتحقق إلا بدمج العلوم العقلية في التعليم، وربط التربية العقلية بالقيم الأخلاقية، وتوفير بيئة معرفية متكاملة تشجع العقل على التفكير والحوار، بعيدًا عن الكبت والرقابة، مع الحفاظ على القيم القرآنية الراسخة.

٦- قدّم السبزواري نموذجًا تربويًا متكاملًا يُحوّل النصوص الدينية إلى أدوات تربوية تُنمّي العقل وتُدرّب على الاستنباط، من خلال تعزيز التفكير التأملي، وتوظيف العقل في فهم النصوص، وربط العلم الشرعي بالعلوم الحديثة، وتأكيد أهمية الاستناد إلى العلم واليقين في اتخاذ القرارات، والمشاورة، والتفكر في الأمور للوصول إلى قرارات أخلاقية سليمة.

٧- يحتل العقل مكانة مركزية في المشروع التربوي لكل من الألوسي والسبزواري، حيث يُنظر إليه بوصفه وسيلة للارتقاء الروحي، ومفتاحًا للفهم الديني السليم، وأساسًا للتجديد الاجتماعي والسياسي، وشرطًا جوهريًا لنضج الإنسان وتكوينه الأخلاقي والوجداني، فالعقل في رؤيتهما لا يُختزل في كونه أداة تحليلية لفهم الأحكام، بل يُقدّم كنور يهدي إلى التمييز بين الحق والباطل، ويُفعّل في سياق التزكية والإيمان.

٨- يلتقي العالمان في تأكيدهما على أهمية العقل في بناء الإنسان، ونقد التقليد الأعمى والانقياد العاطفي غير الواعي، ويشتركان في الدعوة إلى التدبر والتأمل كشرط للفهم الصحيح، كما يُجمعان على أن التماسك الروحي والفكري لا يتحقق إلا بالاعتصام بالوحي، وبالعمل الجماعي الذي يتجاوز الأهواء والانقسامات. ويريان أن إعمال العقل في التفسير مطلوب وضروري، بشرط أن يكون خاضعًا للوحي، لا متعاليًا عليه أو منفصلًا عنه.

٩- رغم التلاقي بين الألوسي والسبزواري في بعض القضايا، فإن الاختلاف في البنية المرجعية للعقل يكشف عن تباين جوهري في المنهج والمقصد، فالألوسي المنتمي إلى المدرسة التفسيرية الأثرية التقليدية، يُقيّد العقل بوظيفة خادمة للشرع، ويُبقيه في دائرة البيان والتفسير، ملتزمًا بالظاهر اللغوي والسياقي، ومحذرًا من الفلسفة والمنطق، أما السبزواري المنتمي إلى مدرسة الحكمة والعرفان، فيُقدّم العقل بوصفه نورًا إلهيًا متصلًا بالحقيقة، قادرًا على إدراك المجردات، ويمنحه صلاحية التأويل والكشف، ويُفعّله في سياق من التزكية والتأمل، ليُصبح أداة شهودية تُدرك المعاني الباطنية وتُفعّل الحضور الروحي في الواقع.

١٠- يُمثّل الألوسي الاتجاه "العقلاني-النقلي"، بينما يُجسّد السبزواري الاتجاه "العقلاني العرفاني الوجودي"، حيث يُعمّق في البعد الروحي للإنسان، ويجعل من العقل وسيلة للترقي في مراتب الوجود، لا مجرد أداة تحليل أو استنباط، وتُظهر المقارنة بينهما أن التربية العقلية، رغم اختلاف المنطلقات، تُعد مسارًا تكامليًا لتشكيل الإنسان الكامل، وتُسهم في بناء شخصية

مسلمة واعية، قادرة على مواجهة الانحرافات الفكرية، والتفاعل مع النصوص والواقع بوعي وتأمل.

ثانيًا: التوصيات

بناءً على النتائج التي خلص إليها هذا البحث، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات العملية التي تهدف إلى تفعيل التربية العقلية في البيئات التعليمية والدينية، وتعزيز دور العقل في بناء الإنسان المسلم الواعي، وذلك على النحو الآتي: –

١– يوصى بالعمل على تعزيز التفكير النقدي في المناهج التعليمية، من خلال تدريب الطلاب على التحليل والاستنتاج، والانتقال من أسلوب الحفظ والتلقين إلى بناء عقلية تحليلية ناقدة، قادرة على التمييز بين الظن واليقين، بما يسهم في ترسيخ منهجية عقلانية واعية.

٢– يُوصى بترسيخ التربية الأخلاقية في جميع مراحل التعليم، عبر غرس القيم الإسلامية منذ الطفولة، وتوظيف القصص القرآني كنماذج تربوية، وربط الأخلاق بالعبودية والمقاصد الشرعية، بما يساهم في بناء سلوك تعبّدي متزن.

٣– من الضروري دمج العلوم الحديثة في التعليم الإسلامي ضمن رؤية إيمانية، تشجع على دراسة الفلسفة والعلوم الطبيعية والاجتماعية، وتُوظف لفهم آيات الله في الكون، بما يسهم في بناء عقلية علمية تجمع بين الإبداع والالتزام.

٤– يُوصى بإدماج التربية النفسية في المناهج التعليمية، من خلال تعزيز الطمأنينة النفسية بالقيم الإيمانية، وتوفير بيئة تعليمية آمنة، واستخدام القصص والحوار العقلي حسب المراحل النمائية، وفتح الحوار مع النظريات النفسية الحديثة.

٥– يُستحسن تصميم مناهج تربوية متكاملة تجمع بين التربية الروحية والعقلية والجسدية، وتُوظف العبادة كوسيلة لصقل النفس، وتستفيد من المقارنات الفكرية لتطوير رؤية تربوية متوازنة تراعي التحديات الحضارية.

٦– يُوصى بفتح الحوار بين الفكر التربوي الإسلامي والنظريات والفلسفات العالمية، والاستفادة من المدارس التربوية المختلفة لتطوير المناهج الإسلامية، وإبراز أن الإسلام يشجع على العقلانية الأخلاقية ويدمجها في التربية.

٧– من المهم تحويل المؤسسات التربوية إلى مراكز للفكر النقدي، من خلال تطوير المدرسة لتكون بيئة للنقاش والتحليل، وتعزيز دور المسجد والحسينية في بناء الوعي الجماعي، وتهيئة بيئة تعليمية تحفز على التفكير والتأمل.

٨– يُوصى بدمج المنهج الاستدلالي وثقافة السؤال في المناهج، عبر تعليم مهارات البرهنة العقلية، وتشجيع البحث التجريبي، وترسيخ ثقافة السؤال كنبض للعقل الفطري، بما يسهم في بناء عقلية نقدية مستقلة.

٩– يُستحسن إدراج المنطق والفلسفة في التخصصات المختلفة، وتعليم قوانين الفكر السليم في العلوم الشرعية والطبيعية، وتدريب المعلمين على استخدام الأسئلة الفلسفية، وتعزيز التفكير الاستنتاجي عبر مشروعات بحثية.

١٠– يُوصى بربط العلوم الشرعية بالعلوم الحديثة، من خلال إدماج التفكير المنطقي في الفقه والتفسير، وتنظيم مناظرات علمية، وتعزيز الفلسفة الإسلامية التطبيقية في فهم الدين والحياة.

*** المراجع**

القرآن الكريم.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام محمّد هارون، الطبعة الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٩–١٩٧٢.

ابن منظور، محمّد بن مكرم. لسان العرب. الطبعة الثالثة، تحقيق اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر، ١٩٩٣.

الأسمري، حسن بن محمّد حسن. النظريات العلمية الحديثة: مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية. الطبعة الأولى، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٢.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق علي عبد الباري عطية، ط. ١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤.

البحيري، ريم عبد الفتاح. توجيه المتشابه اللفظي عند المفسرين: دراسة في تفسيري الرازي والألوسي. رسالة ماجستير، جامعة المنوفية، معرض الكتاب، مصر، ٢٠٢١.

الجرجاني، الشريف علي بن محمّد. كتاب التعريفات. ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

جهامي، جيرار. موسوعة مصطلحات الفلسفة. الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٨.

الحازمي، خالد بن حامد. التربية الإبداعية في منظور التربية الإسلامية. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٦، السنة ٣٤، ٢٠٠٢.

الحداد، كفاح. قراءة في السيرة الفاطمية. الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠١٥.

حسن، أسمهان جاسب؛ علي، أمير فرحان. المنهج الإشاري في تفسير القرآن تفسير مواهب الرحمن للسبزواري أنموذجًا. مجلة مداد الآداب، المجلد ١٤، العدد ٣٤، ٢٠٢٤.

الخميني، السيد روح الله. أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية. مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (س)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ.

الدخنان، جمانة بكر خلف. النزعة العقليّة في الفكر التربوي الإسلامي: قراءة تحليلية ناقدة. مجلة دراسات تربوية واجتماعية، مجلد ٣٠، عدد ٤، نيسان ٢٠٢٤.

الذهبي، محمد السيد حسين. التفسير والمفسرون. مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠.

الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٤٣.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة

الأولى، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٩٥٧.

السبزواري، عبد الأعلى. مواهب الرحمن في تفسير القرآن. دار التعارف، بيروت، ١٩٩٠.

سلامة، إيهاب عبد الحميد عبد الصادق. قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه. رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتّربية، ٢٠١٦.

شاكر، هدى هيثم؛ السراجي، كريم شاتي. أثر المعرفة التدبرية في تفسير القرآن الكريم (كتاب تفسير الميزان أنموذجًا). مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، المجلد ١، العدد ٨٠، ٢٠٢٤.

الشمري، محمد مطلق. أسلوب الحجة العقلية في ضوء التربية الإسلامية وتفعيله بالواقع المعاصر. جامعة الأزهر، مجلة التربية، المجلد ٣٤، العدد ٣، ٢٠١٥.

الطبطبائي، محمّد حسين. الميزان في تفسير القرآن. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٧٣.

عبد المنعم، محمود عبد الرحمن. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية. دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٩.

الكليني، محمّد بن يعقوب. الكافي. تحقيق محمّد حسين الداريتي، دار الحديث، ٢٠٠٨.

الكواكبي، عبد الرحمن. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم د. أحمد السحمراني، الطبعة الثالثة، دار النفائس، لبنان، ٢٠٠٦.

مكارم الشيرازي، ناصر. نفحات الولاية: شرح عصري جامع لنهج البلاغة. إعداد عبد الرحيم الحمراني، بمساعدة محمّد جعفر الإمامي، محمّد رضا الآشتياني، محمّد جواد أرسطا، إبراهيم البهادري، سعيد داودي، وأحمد القدسي، الطبعة الأولى، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام – دار جواد الأئمة (ع)، ١٤٢٦هـ.